الاستاذ: شريف خاصة

المقياس: اشكاليات في الفكر الفلسفي العربي والاسلامي المعاصر

المحاضرة الأولى: إشكالية التنمية التنمية في العالم العربي والإسلامي

- قراءة في مشروع مالك بن نبي)

الاهداف الاجرائية:

- أن يكون الطالب قادرا على استيعاب الأسس الفلسفية لمختلف الرؤى التي تناولت اشكالية التنمية ف ي الفكر العربي و الاسلامي المعاصر.

- أن يناقش طبيعة مختلف المشاريع الفكرية ويؤسس لرؤية فكرية موضوعية و ممكنة عن اشكالية الت نمية.

نهدف من خلال هذه المحاضرة إلى تناول موضوع أزمة التنمية في العالم العربي والإسلامي من منظور الفكر الفلسفي العربي والإسلامي معتمدين مشروع مالك بن نبي نموذجا وهو اختيار منهجي لا علاقة له باقصاء أو تحيز وتفضيل لهذا المشروع عن غيره من المشاريع الفكرية العربية والإسلامية، التي تناولت مسألة التنمية في العالم العربي والإسلامي بالدرس والتحليل مع الحرص على تعرية الموضوع و الجرأة في الكشف عن عوائق التمنية و الاسس التي يجب تحققها والأخذ بها بعيدا عن ايديماغوجية او وثوقية لتحقيق العلاج لمرض التنمية العويص الذي أدى إلى تآكل المجتمعات العربية والإسلامية. فكل مفكر وله مكانته الفكرية والعلمية في التأسيس لمشروع التنمية، فلا يمكن اقصاء محمد ولا محمد عابد الجابري ولا حسن حنفي ول غيره من المفكرين وان تعددتواختلفت منطلقاتهم الفكرية ونتائجهم التحليليلة. وعليه سنحاول تناول رؤية بني نبي مسألة التنمية في العالم العربي والإسلامي، العوائق والحلول، علما ان العالم العربي والإسلامي لا يفتقر إلى الاسباب المادية والبشرية التي يمكن أن تساعد في تحقيق النمو الاقتصادي و الاجتماعي، الذي يمكن ان يساهم في تحقيق التنمية المنشودة.

مقدمة: يعتبر موضوع التنمية من المواضيع التي نالت اهتماما كبيرا من قبل الباحثين باختلاف تخصصاتهم واتجاهاتهم، خاصة وأن التنمية تعد هدفا تسعى مختلف دول العالم لتحقيقه بما تحتويه من أبعاد سياسية، اجتماعية، اقتصادية، بيئية وأخلاقية، وقد ظهرت بذلك العديد من النظريات والمقاربات التي تناولت موضوع التنمية، فسارعت الدول في تطبيق النماذج المقترحة والتي عرفت نجاحا على المستوى البيئة الاجتماعية التي انطلقت منها وطبقت فيها .ويعتبر موضوع التنمية أيضا ذا أهمية كبيرة بالنسبة لدول العالم الإسلامي التي لازالت لهذا اليوم تعاني من العديد من الأزمات والمشاكل الداخلية التي حالت دون تحقيقها للتنمية المنشودة، كما باءت كل محاولات العالم العربي الإسلامي بالفشل جراء اعتمادها على استعارة نماذج تنموية من دول غربية، والواقع يثبت ذلك إذ لا تزال هذه الدول تعيش أزمات اجتماعية واقتصادية وسياسية ذات علاقة بمشكلة مركزية وهي التنمية.

لكن إن استمرار هذه المشكلة، لا يلزم عنه القول بانعدام الاهتمام الفكري والفلسفي بها أو غياب رؤى فلسفية تشتغل بهذه القضية وتسعى إلى تفكيكها و حلحلتها لأجل تحديد الأسباب الحقيقية في عدم بلوغ التنمية الحقة على أرض الواقع، بالرغم من توفر الثروات المادية والبشرية، التي تحتاجها التنمية، ومنه تقديم الأسس النظرية والعملية لأجل حل هذه المشكلة ومنه بلوغ مصاف الدول المتقدمة.

.<u>الاشكالية:</u> مكيفينطر مالاك بن نبي لمسالة التنمية في العالم العربي والاسلامي، وهل استطاع تقديم رؤية فلسفية ممكنة التطبيق لمعالجة قضية التنمية في العالم العربي والإسلامي ؟

- <u>تفسير مالك بن نبي لأزمة التنمية في العالم الاسلامي:</u> لقد أرجع مالك بن نبي هذه الأزمة التي عمّت كل مستويات الحياة دون استثناء التي إلى عدة أسباب، لعل أبرزها يتمثل في: -القابلية للاستعمار: الذي، اراد من خلاله توجيه النظرإلى مفهوم القابلية للاستعمار كمفهوم تحليلي لواقع المسلمين، ما بعد الموحدين عموما، وذلك بسبب التخلف الذي عم في البلاد، فقد استكان المجتمع إلى الراحة، لا ترجع هذه الحالة الانهزامية إلى الاستعمار، بل هناك عامل آخر كامن في داخل الفرد، يتمثل في نقبّله لهذه الصفة (الضعف والاستكانة والخضوع)، ومنه رضي بالسير في الحدود الضيقة التي رسمها الاستعمار، التي تم من خلالها تحديد سقف و أفق الحياة للإنسان العربي المسلم، و تم ترويضه عمليا وفكريا، فيما يفكر وكيف يفكر.
- وقد انعكست عليه في مختلف الأبعاد الأخلاقية،و النفسية، والعقلية، و الاجتماعية وكذلك الاقتصادية، حيث عمل الاستعمار قصد التمكين لوجوده على توظيف مختلف الوسائل المادية والفكرية للتاثير على الحياة الثقافية في العالم العربي والإسلامي، وخلق خللخلة فكرية وثقافية تتسم بالتيه الفكري وغياب المرجعيات التي يمكن من خلالها التأسيس للإنسان العربي القادر على صناعة مصيره ونحت مكانته في بناء الاستقلال والتقدم والتنمية. وقد ظفر العدو فينا بما كان ينبغي ويريد)(مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، 2000).

فأصبح المجتمع الإسلامي بالتحديد يعاني من انقلاب عكسي للنماذج المثالية لعالمه الثقافي الخاص به من ناحية، ومن ناحية أخرى من الانقلاب الخطير للنماذج الفكرية و الإقتصادية التي استعارها من أوروبا، دون أن يراعي الشروط التي تحفظ قيمتها الاجتماعية، وقد أورث ذلك تدهورا في قيمة الأفكار الموروثة، وتدهورا في قيمة الأفكار المكتسبة، ممّا أدى إلى التضرر الكبير في نمو العالم الإسلامي أخلاقيا وماديا)مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، 2002) وهو وضع نتج عن الانبهار بصانع الحضارة وهو الغرب والاعتقاد بان الحل في تقليده واستعارة مناهجه وثقافته وانظمته الاقتصادية السياسية والتعليمية. والنظر الى التراث باعتباره عائقا امام التنمية والنهوض.

الامر الذي منع على المستوى الجمعي والفردي، التأسيس للفكر الحر والعقل القادر على البحث عن الأسباب الفاعلة للنهوض؛ ومنه التحرّر والتخلّص من الافكار القاتلة او المميتة على حد تعبير مالك بن نبي. لما تحمله من عدم التناسق والتجانس بين الذهنيات، حيث يتم نقلها من إطارها الثقافي للعالم الغربي لتزرع في أوساط مجتمعاتنا، وتلقن لعقول أبنائنا مما يؤدي إلى حالة من التيه والتكلّس

والشلل التي تصيب الفكر، مثل الجسم عندما يحقن بدم من فصيلة مختلفة، وهي وضعية يمكن التعبير عنها بالاغتراب والاستلاب - التبعية والشعور بالنقص والقصور والارتماء في أحضان الأخر في أفكاره وسلوكه- وهو من أشد مظاهر الاستعمار، بحيث يصبح لدينا انسانا عاجز عن صناعة مصيره والانخراط في التنمية وتحمل عبئها و الالتزام بواجباتها. فقد كان للأفكار المميتة أثارها على عقل المسلم فيما يعانيه من أزمة متعددة الجوانب، ومنه تحوّل المشكلة من أزمة تنمية مادية إلى أزمة في العقل والثقافة. عقل تغلب عليه سمة الأحكام المسبقة المتسرعة والنظرة السطحية الاعتباطية للقضايا المصيرية، ثم العجز عن إدراك حقيقة الظواهر؛ فغفل عن فهم آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة، فاكتفي باستظهارها شكليا دون فهم محتواها. كما انشغل باستيراد الأفكار والمعارف والتقنيات دون تكبد عناء البحث لامتلاكها بقوة الفكر والبحث والإبداع. أو القيام بتحليل وفهم للسياق الحضاري للدول العربية والإسلامية وما يميزه عن السياق الحضاري الغربي الذي نشأة فيه ومن خلاله تلك النماذج الفكرية والتقنية المستعارة، التي تم جلبها ميتة ومميتة، لكن وهو يتناول مسالة الأفكار المميتة تناول نوع اخر من الافكار يسميه بالافكار الميتة، وهي الأفكار الشائعة في البلدان المسلمة، والتي خرجت عن مسارها الحقيقي الأصيل، وأصبحت تؤثر على عقلية الفرد المسلم حيث أنها تساهم في ظهور الكثير من التناقضات الداخلية، والتي تساهم بشكل أو بآخر في تعطيل المجتمع وانحرافه عن الوجهة الحقيقية لبناء الحضارة، وهذا يرجع الى العلاقة بين الأفكار الميتة والمميتة، حيث ساهمت في انحراف هذه المجتمعات عن أصولها وأفكارها الثابتة فتنتج بذلك أفكار مميتة تروج لوجود تعارض وصراع بين الأصالة والمعاصرة بالمجتمعات، وتصبح بذلك المجتمعات الإسلامية في تحدي حقيقي يتأرجح بين الأفكار الميتة الخارجية، والأفكار المميتة الداخلية .

الخلل ليس في النماذج الغربية

ويظهر أن مالك بن نبي لم يكن رافضا تماما للأفكار الغربية، بل أنه يعيب اهتمام المثقفين فقط بقشورها وبأفكارها الميتة دون النافعة، وهذا ما أثار تساؤله، فهو لم يستغرب من حقيقة وجود أفكار ميتة في الثقافة الغربية، بقدر استغرابه من ميل المثقفين والنخبة المسلمة نحو هذه الأفكار بالضبط، وهو خيار غير ناتج عن فهم عميق لمضمون الثقافة الغربية، بل في مضمون الوعي الذي حدّد خيارا لهذه النخبة بإرادة منها أو بغير إرادة . لوجود امكانية الانتقاء الوظيفي المصلحي عند التعامل مع الثاقافة الغربية، لأنها ليست كلها أفكار ميتة فهي لا تزال تبعث الحياة في حضارة تنظم حتى وقتنا هذا مصير العالم، وليس العنصر الميت في تلك الثقافة الغربية سوى نوع من النفايات، وإذا كان العالم الإسالمي يأخذ من هذه الحضارة الأفكار الميتة، فلا ينبغي أن يلوم أحد غيره، لأن مثل هذه الافكار لا تفرز إلاّ التعفن، والعقول السطحية في العالم الإسلامي تخلط بينها وبين الثقافة الغربية (مالك بن نبي، تأمالات، 2002) ولا يمكن أن نعيب على مجمل الثقافة الغربية، بل أن نختار ما نستعيره منها، وهذا هو الاشكال، فالمجتمعات المسلمة لا تأخذ سوى

القشور دون إعطاء أي اهتمام للأفكار المفيدة الفاعلة والمناسبة لنا كمسلمين، والتي يمكن تكييفها مع خصوصية المجتمعات الإسلامية، حيث توجد الكثير من الأفكار التي لا تتناقض مع الواقع الاجتماعي والثقافي للمجتمعات الإسلامية وهي الجوانب التي يمكن أن نستفيد منها حقا، فيمكن لها أن تستفيد من تجارب العالم الغربي في مختلف الميادين الاجتماعية، بحيث يمكن جعلها كنقطة انطلاق نبدأ فيها من حيث انتهى العالم الغربي، أو أن نحذو حذوه ونتبع نهجه بما يتلاءم و خصوصية المجتمعات الإسلامية .

- تمزق شبكة العلاقات االجتماعية: وهي حالة تنتج عن سيادة النزعة الفردانية التي عكست معيار القيام، وتعارض مصالح الأفراد والجماعات فيما بينها، الأمر الذي أحدث الاصطدام الداخلي وقوّض من العمل التكاملي الجاد وأدى إلى إهدار الكثير من الطاقات الإجتماعية، وصرفها فيما لا جدوى منه)ميهوب العابد،2012) فالعلاقات الاجتماعية تتفكك بمجرد ظهور أعراض التخلف، وتبدأ هذه الانفكاكات في التطور إلى أن تأخذ صورة العلة التي تنخر تماسك الجسد االجتماعي، وبما أن الافكار تساهم بشكل فعال في عمليات البناء فإن فعالياتها تتوقف على صحة وقوة شبكة العلاقات االجتماعية(يوسف أزروال، 2019) وعندما تتفشى في المجتمع ظاهرة التفكك بين الأفراد، ينفرد كل إنسان في العمل أو التفكير أو التخطيط، وبالتالي تغييب الروح الجماعية التي كانت سائدة في فترة من الفترات في الشعوب الإسلامية والتي كانت بمثابة المركز والمحرك للفكر والعمل، "والعلاقات الإجتماعية تفسد عندما تصاب الذوات بالتضخم، فيصبح العمل الجماعي المشترك صعبا أو مستحيلاً، وعقدة "الأنا" أصبحت سيطرتها تفوق كل عقدة، واكتسحت كل المجالات بما فيها المجال الإجتماعي، فنحن حين نقوم بدراسة أمراض مجتمع معين، من مختلف جوانبه الإقتصادية والسياسية... فإننا في الواقع ندرس "أمراض "الانا" في هذا المجتمع وهي الأمراض التي تتجلى في فاعلية شبكته الاجتماعية، هذه العقدة التي تسببت في فساد مجتمعات عديدة، "وكل عالقة فاسدة بين الأفراد تولد فيما بينهم عقدا كفيلة بأن تحبط أعمالهم الجماعية، إما بتصعيبها أو باستحالتها")صالح بوعزة، 2015) ومنه لا يمكن أن نتصور مجتمع متطور، يغيب فيه التعاون والعمل الجماعي بين أفراده، فإذا طغت النزعة الفردية بين أفراد المجتمعات الاسلامية، وغُلّبت المصلحة الشخصية على المصلحة العامة فإن التنمية لن تتحقق، فتنمية البلدان تتحقق فقط عندما يكون هناك عمل جماعي وعلاقات متماسكة، وتكامل وظيفي بين الافراد والمؤسسات والقطاعات الاجتماعية المختلفة، وهذا ما ينقص المجتمعات الاسلامية خاصة في ظل غياب التخطيط الاستراتيجي الشامل.

- 3 .الخلل الموجود في العوالم الثالث (الأشياء- الأشخاص - الأفكار): يرى بن نبي أن هذه الصعوبات والمشكلات الاجتماعية – بما فيها أزمة التنمية - مردها إلى الفرد المثقف (عالم الافكار)(والمرتبط أساسا بالثقافة والعامل ورجل المصنع (عالم الألشياء(والمرتبط بالسياسة،

وذلك حينما نتحدث إلى السياسيين، فالقضية مرتبطة بالثقافة التي تكوّن عالم الأفكار وتحدّد علاقتنا به، وبالسياسة التي تكون عالم الأشياء وتحدد علاقتنا به، و الجدير بالذكر هنا أن الثقافة بما تقوم به من توجيه للطاقات الفردية تعمل على تحقيق بناء الفرد في الداخل بالنسبة إلى مصلحته، ولتحقيق مكانه في المجتمع بانسجام تلك المصلحة مع مصلحة المجتمع، أما السياسة فهي توجيه للطاقات الاجتماعية لتحقيق بناء المجتمع في الداخل وتحقيق مكانته في الخارج فالفرد الصالح حينما يشارك في بناء المجتمع، سيعود إليه في صورة ضمانات اجتماعية تكفل له طاقاته الفردية، فهناك تكامل بين السياسة والثقافة)صالح بوعزة، 2015 ، (ولا يتحقق هذا التوفيق والتكامل إلاّ عن طريق الفرد كونه موجها للطاقات الاجتماعية، وبالتالي فإن مصدر المشكلات والصعوبات هو تكوين الفرد)عالم الأشخاص(والانسان لا يتغير بوصفه كائنا حيا في حدود التاريخ، وإنما يتغير بوصفه كائنا اجتماعيا تغيره الظروف، وحسب-مالك بن نبي – فانه يجب على العالم أن ينظر إلى المشاكل الاجتماعية من زاوية الفعالية والمنطق العملي وليس يعني هذا أن نغفل الجوانب الروحية في الانسان)صالح بوعزة، 2015 311 (. إن ما يعاب على المجتمعات الاسلامية هو محاولتها تحقيق التنمية من دون الاهتمام بالأفراد بشكل أساسي، فالتنمية عبارة عن عملية بناء تبدأ من القاعدة المتمثلة في بناء الأفراد وتكوينهم، أي أن الاصلاح يجب ان يعتني ويمس كل مستويات المجتمع ، من ابسط مكونات المجتمع وصولا الى المؤسسات والهياكل والأنساق، فإن عدم الاهتمام بالمورد البشري وتكوينه من الناحية الثقافية والفكرية والمعرفية، يجعل المجتمعات الاسلامية حبيسة استعارة النماذج التنموية الغربية، والاعتماد في تجسيدها والتخطيط لها من قبل أفراد غرباء عن البيئة الاجتماعية الاسلامية، إن الواقع الاجتماعي الاسلامي يزخر بالعقول المفكرة والمبدعة، لكنه لا تلقى اهتماما وتشجيعا من الدولة، كما لا تعطى لها فرصة إثبات ذاتها في المشاريع التنموية المختلفة، في المقابل نجد الكثير من العقول المسلمة المهاجرة التي أثبتت ذاتها في الدول الغربية، والشركات العالمية القوية في عالم المعرفة والعمل، وبالتالي لا تستطيع المجتمعات الاسلامية بناء عالم الأشياء-الاقتصاد- بنفسها، دون رعاية وتكوين عالم الأشخاص، والاستثمار فيهم بما يخدم المجتمع، ويحقق التنمية.

- 4 .التكديس: إن التكديس ظاهرة اجتماعية تظهر في المجتمعات في مراحل تخلفها، لأنها في هذه المرحلة لا تفكر ولا تنظم أعمالها طبقا لافكار وقوانين، وإنما تكدس الأشياء، والمجتمعات التي دخلت في مراحل التخلف الحضاري، تختل الموازين عندها، فتسيطر الأشياء على الإنسان، وينزلق الإنسان نحو الشهوات، ويغرق بذلك المجتمع في فوضى الأشياء والتكديس.فإذا قمنا بربط عامل التكديس بعامل شيوع الفردانية في المجتمعات الإسلامية، فإن التكديس يصبح نتيجة حتمية، فإذا كانت المصالح الشخصية لدى الأفراد أولى من المصالح العامة للمجتمع، فإن الاجتهاد يقل، و الانجازات الفعالة تختفي، ويحل الكم محل

النوع، والتكديس بدل البناء، كون الافراد تبدأ وتنتهي اهتماماتهم في تسريع وتيرة الوصول إلى أهدافهم في امتلاك الأشياء من شهادات، مراكز، سيارات، منازل... ، و لا يهمهم كيف السبيل إلى ذلك، بل المهم أن تتحقق أهدافهم، وما يساعد على ذلك هو المجتمع الذي لا يهتم بالعقول المفكرة والكفاءات الحقيقية .و الجزائرمثال حي على ذلك، لو قارنا نتائج سير مجتمعنا بسير المجتمع الياباني، الذي عانى من الحرب والاستعمار، فإن الغريب أن هذا المجتمع الذي نهض بعدنا بعشر سنوات قد سار إلى الحضارة ووصل إليها، وأصبح خلال أربعين سنة دولة قوية، بينما إذا وازنا إنتاجنا الحضاري بإنتاج اليابان فإنه لا مجال للمقارنة، وذلك يرجع الى طبيعة القوانين المعتمدة في المجتمع الياباني في سيره ليست هي القانون الذي اعتمناه في سيرنا.، فبينما خطط المجتمع الياباني تخطيطا علميا وفنيا في سيره للحضارة، وقام ببناء مجتمع متحضر، أي أنه دخل عالم المادة من أبوابها، وطلب الأشياء بوصفها حاجة، ودرس الحضارة الغربية بالنسبة لحاجاته وليس شهواته، فلم يصبح من زبائن الحضارة الغربية يدفع أمواله وأخلاقه لها، بينما نحن فقد أخذنا منها كل رذيلة، وأحيانا نأخذ منها بعض الأشياء الطيبة. لكن غلب التكديس، الذي يبرز في في تناسخ الأفكار دون إنتاج جديد، أو جديد نافع، فالتكديس لا يعطينا حلولا وإنما فقط تعطينا تلميحات لقضايا جزئية معينة، وهذا ليس بالحل الصحيح الذي يقتلع المرض من جذوره (مالك بن نبي، تأملات، 2002) فالمجتمعات الاسلامية لم تستطع تحقيق التنمية، وذلك لأنها لم تعتمد على التخطيط العلمي في بناء نفسها، بل اقتصرت جهودها في استعارة النماذج التنموية الغربية، دون مراعاة خصوصية بيئتها الاجتماعية والثقافية من جهة، ودون مراعاة أن استعارة أشياء الحضارة لا تعني أن الدول متحضرة من جهة أخرى، لم تركز المجتمعات المسلمة على جوهر المشكلات التنموية والعوامل الداخلية والخارجية المتدخلة في ظهور تلك الأزمات، بل دائما تهتم بالقشور وتعطيحلولا سطحية، بحيث تعتمد اصلاحات ترقيعية فقط .كما يرى بن نبي من ناحية الكيف أن الحضارة لا يمكن أن تبيع جملة واحدة الأشياء التي تنتجها، أي أنها لا يمكن أن تبيعنا روحها وأفكارها وثرواتها الذاتية، وأذواقها، هذا الحشد من الأفكار والمعاني التي لا يمكن لمسها، ونجدها في الكتب والمؤسسات، ولكن بدونها تصبح كل الأشياء التي تبيعنا إياها فارغة، دون روح، وبغير هدف. أما من الناحية الكمية فلن تكون لدينا القدرة على أن نشتري العدد الهائل من الأشياء التي تصنعها، لأنه لن نجد رأس المال الذي ندفعه فيها، وإن توفر المال فهو لا يعتبر حضارة بل تكديسلأشياء الحضارة فقط)مالك بن نبي، شروط النهضة، 1986) ففي ظل التطور العلمي والعالمي المتسارع، يجعل المجتمعات الاسلامية بعيدة كل البعد من الدخول في التنافس مع الدول المتقدمة، ومجاراتها في منجزاتها، بل انها تكتفي المجتمعات باقتناء أحدث إصداراتها واختراعاتها لمحاولة مسايرة تطورات العصر، لكن تبقى مجرد مجتمعات تابعة ومستهلكة، طالما لم تعتمد على نفسها في صناعة نفسها وأشيائها، كما ويظهر

أن الدول الغنية من المجتمعات الاسلامية يمكنها اقتناء منتجات الحضارة، بينما المجتمعات الفقيرة منها لا يمكنها ذلك، فالأمر يتوقف على مدى امتلاك رأس المال المادي فقط لا غير، لكن تبقى تلك المجتمعات الغنية في إطار التكديس وليس البناء، طالما تستورد أشيائها من العالم الغربي، ولا تنتجها بنفسها

- 5 .غياب الفاعلية: ويرى مالك بن نبي بهذا الخصوص أن المجتمع الاسلامي يفتقر الى المنطق العملي، ويعتبره أمرا متوقعا، كون العجز في الأفكار، يخلق أو ينتج في المجال النفسي عجزا في المراقبة الذاتية، وفي مراجعة النتائج، ففكرنا لا ينسج علاقات بين النشاطات والجهود والوسائل من ناحية، ونتائجها من ناحية أخرى، وباعتبار أن المجتمع البشري عبارة عن جهاز تحويل الطاقات الاجتماعية، فإن هذا الجهاز بقدر ما يكون أكثر جودة، بقدر ما تكون نتائجه أفضل، فالطاقات الاجتماعية تخضع لقوانين النسق الاقتصادي بالخصوص، والذي يحتم أن يكون الانتاج متفوقا على الاستهلاك دائما(مالك بن نبي، فكرة كومنولث اسلامي، 2000) وواقع المجتمعات الاسلامية يظهر قصورا واضحا في الإنتاج وهذا طبعا كمبرر لميل هذه المجتمعات نفسها إلى أزمة التنمية في العالم الاسلامي اللجوء إلى الاستيراد وتكديس منتجات الحضارة الغربية، وبطبيعة الحال فإن ضعف الانتاج يمكن رده إلى سوء التخطيط والتسيير الذي يرتبط بشكل واضح بعالم الأشخاص والأفكار، فإذا كان هناك عجز في هاتين الأخيرتين، فكيف نتصور أن يكون الانتاج في مختلف الخطط المطبقة و الأعمال المنجزة، فالمنطق العملي يحتم أن تقوم النشاطات في المجتمع الاسلامي، وفق منطق عقلاني، تكون الأرباح أضعاف الخسائر، وأن يكون الإنتاج أضعاف الاستهلاك .وهو الغائب في المجتمعات الإسلامية.

هذا الوضع الذي يبيّن غياب الفاعلية بسبب العجز في عالم الأفكار، وليس الى الفقر بل بسبب التبديد وهنا يرى مالك بن نبي أننا لا نعاني اللافاعلية فحسب، بل ونخترع ترهات لتبرير عدم فاعليتنا (مالك بن نبي، فكرة كومنولث، 2000)فتبريرات الأزمة التنموية في المجتمعات الاسلامية لا ترد إلى مصدرها الحقيقي، بل تقدم في ذلك تبريرات شكلية، وكما يقال إذا عرف السبب بطل العجب، وهذا هو الذي يجعل المجتمعات الإسلامية حبيسة الأزمة التنموية، فهي لا تقف على جوهر المشكلات ولا على جوهر عواملها . فالمجتمع المتخلف حسبه ليس موسوما حتما بنقص الوسائل المادية والأشياء، وإنما بافتقار الأفكار، ويتجلى بصفة خاصة في طريقة استخدامه للوسائل المتوفرة لديه، بقدر متفاوت من الفعالية، وفي عجزه عن إيجاد غيرها، وعلى الأخص في أسلوبه في طرح مشاكله أو عدم طرحها على الإطلاق، عندما يتخلى عن أي رغبة ولو مترددة بالتصدي لها)مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، 2002).

وقد حدد مالك بن نبي شكلين من الأمراض النفسية التي تجتمع فيهذا المجتمع والمتمثلة في ميل المسلم في تقويمه لألشياء إما للغلو فيها أو للحط من قيمتها، ويتمثل هذا في نوعين من

الأمراض، فإما أن الأمور سهلة جدا و لا تحتاج إلى تعب، وكذا إلى فكر والحل بسيط، وإما أن الأمور مستحيلة، وهي كالتالي :

أ: مرض السهولة: وأبرز مثال على عقدة)السهولة(: قضية فلسطين، فقد قيل: إن إخراج اليهود سيتحقق بعد أشهر، ولو نفخنا عليهم نفخة واحدة لطاروا، ولكنهم في الحقيقة لم يطيروا، وهناك من يظن أنه بخطبة رنانة تحل مشاكل المسلمين، وبعضهم يكره أن تدعوه إلى تفكير عميق في موضوع ما من الموضوعات لأنه يميل إلى السهولة ويكتفي بتفسير سطحي، وعندما تخطط السياسة طبقا لمبدأ السهولة فإنها سوف تجتذب إليها الناس ممن يقدرون الأشياء بناء على سهولت الحاضر لا على صعوبات المستقبل)صالح بوعزة)فشيوع مرض السهولة بين أفراد المجتمعات المسلمة يجعلها لا تبذل الجهد الكافي للخروج من أزمتها التنموية، فلا يمكن أن نتصور أي تنمية دون أن تكون فيها مشقة وجهد بشري، وخسائر مادية، والوقت المطلوب، فأي تخطيط إستراتيجي يتطلب الفاعلية والنشاط والوقت والمال حتى يمكن من خالله تحقيق ألهداف المنشودة منه .

ب: مرض الإستحالة: وقد يحدث العكس، فيرى المسلم أن الأمور مستحيلة ويقف أمامها عاجزا، وهي في الحقيقة غير مستحيلة ولكنه يضخمها عمدا حتى لا يتعب نفسه في الحل، وقد تجد اليوم بعض المسلمين الذين ينتظرون معجزة الرجل الوحيد كأن يأتي صالح الدين آخر ليوحد شتات المسلمين من جديد ويعتقدون استحالة أية محاولة لاستئناف حياة اسلامية. و قد يكون مرد هذا المرض إلى عامل القابلية الاستعمار، الذي سبق وتطرقنا إليه، والذي يجعل الفرد المسلم عاجزا عن الانتاج، ويتقبل ويخضع للوضع المزري الذي يعيشه، فهو متشبع بثقافة اليأس والعجز، ومولع بالغالب الغربي، وبإنجازاته، فيكتفي بالتقليد و الاستهلاك، بدل الانتاج. إن عقدة الاستحالة إنما هي قناعات داخلية تثبط من عزيمة المجتمعات المسلمة، وتضعف نشاطاتها، وتفقدها ثقتها في نفسها وفي أفكارها، وهذا يعتبر مبررا كافي لجعل المجتمعات المسلمة تبقى حبيسة أزمتها التنموية .فالمسلم في هذه الحالة يواجه عقدة نفسية، وقد ساهم مالك بن نبي في تخليصه من هذه العقدة التي تجعل المرء يعزو تأخر حركة النهضة والنمو في مجتمعاتنا العربية إلى صعوبات في طبيعة هذه المشكلات، عوضا أن يعزوها إلى نفسه من الناحية العقلية في إدراكه لهذه المشكلات، ومن الناحية الأخلاقية في سلوكه إزاءها)صالح بوعزة، 2015 ،ص 308 .)فالتغييرالاجتماعي ينبغي أن يبدأ من الأفراد، ويظهر أن أفراد المجتمعات المسلمة يردون مشكلاتهم إلى عوامل خارجية بيئية وطبيعية، دون ردها لأنفسهم، باعتبار أن لهم دخل في ظهورها أو لهم دور في تفاقمها. فتبرير الأشياء بغير مبرراتها أو التهرب من تحمل مسؤوليتها لن يعطي حلولا حقيقية لمواجهة جوهر مشكلة التنمية في تلك المجتمعات

الحلول المقترحة لمواجهة أزمة التنمية في العالم الإسالمي عند مالك بن نبي: على اساس فهم مالك بن نبي لجوهر ازمة التنمية في العالم الإسلامي ، بيّن جملة من الأفكار والحلول التي يمكن حسبه اخراج العالم الإسلامي من عنق الزجاجة، سالما وغانما بحيث سيتمكن من بلوغ التنمية الشاملة المنشودة. ومن ابرز هذه الحلول النظرية العملية:

- الاستثمار في العنصر البشري: فالحضارة تقوم على العنصر البشري اولا وقبل كل شيء ومنه(جعل منه مالك بن نبي القيمة الاقتصادية الأولى بوصفه وسيلة تتحقق خطة التنمية، ونقطة تلتقي عندها كل الخطوط الرئيسية في البرامج، فالإنسان هو الذي يحدد القيمة الاجتماعية لكل الوسائل الموجودة المعروضة للإنجاز تحت يديه)صبرينة حديدان، 2019 ،ص 33 (.فالقضية إذن بالنسبة للدول النامية ليست قضية إمكان مالي وإنما قضية تعبئة للطاقة الاجتماعية التي تحركها إرادة حضارية، فمالك بن نبي توصل إلى أن الامكان الاجتماعي، هو الذي يحدد مصير الشعوب والدول، كما بيّن أن التنمية في هذه الدول تعثرتلانها رسمت خطط التنمية على أساس الاستثمار المالي، بينما تقدمت الصين اقتصاديا لأنها طبقت مبدأ الاعتماد على الذات أي الاستثمار الاجتماعي ، الذي يمكن أن يعوض النقص في االستثمار المالي في البلدان النامية وهذا ما نجده في تجربة الصين بحيث استثمرت من الناتج الوطني الخام واعتمدت على الاستثمار الاجتماعي الذي اوصلها الريادة وحقّق لها النماء الشامل، واكد قيمة الإستثمار في تنمية الإنسان والتراب وعامل الوقت (الاستماتة ، و يمكن أن نأخذ من هذه التجربة درسا تربويا لأن الإنسان الذي يمارس العمل المشترك يدرك من خلاله ما يتحقق على يده في المزرعة والمجتمع، والعالم النامي لا يمكنه تغيير أوضاعه الاقتصادية إلاّ بقدر ما يطبق خططا اقتصادية تتفق مع أبعاده النفسية، هذه النهضة االقتصادية التي تؤكد أن الإنسان قيمة إقتصادية مركزية في التنمية، بوصفه الفاعل الذي يدفع بالحركية والتنمية.

كما يجب على الدول النامية ان تكون أفكارها متطابقة مع واقعها ولا يكفي أن نتكلم عن الاستثمار الاجتماعي وعن البرامج الإستثمارية التي تقوم على النظرة المالية فقط، ومنه الاتثمار في العنصر البشري،لأنه ثروة مستدامة فاعلة وفعّالة في استمرارية التنمية والحفاظ على منجزاتها، فالتخطيط الذي يشمل ويركز على العنصر البشري واليد العاملة المؤهلة يشكل قوة اقتصادية للدول تجعلها دولة منتجة تنافس السوق العالمية بمنتجاتها وإبداعاتها، وبلوغ هذا الشرط يتطلب اعتماد نظام تعليمي وتربوي يحقق التكوين العالي للفرد ويزوده بالمرونة ومهارات التفكير والعمل لمواكبة المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية -سوق العمل-، فصناعة عالم الأشخاص يعتبر المنطلق السليم لتمكين العالم الإسلامي من صناعة الاشياء.

- 2 .البناء بدل التكديس: وحتى يتجه العالم الإسالمي نحو البناء بدل التكديس ينبغي أن يكون ذلك من خالل :أ- استثمار الثروة: وقد تطرق االقتصاديون إلى هذا المشكل وخصوصا فيما يخص شروط التخطيط في اقتصاد السوق، فالبلدان النامية يمكن أن تستثمر بقدر الوسائل

المتاحة والمتمثلة في القطاع الفالحي والمواد االولية الخام ورأس المال االجتماعي، هذا الرصيد االقتصادي لبلدان القارة الجنوبية، وكل قرض أو مساعدة من القارة الشمالية - محور الصناعة - ال يمكن أن تكون قاعدة يقوم على أساسها التخطيط، فاألمر يخص تحريك المال وتنشيطه من العمل واالستثمار وليس تكديس الثروة، فالمشكل متعلق بالمنهج الذي يحدد دور المال من أجل بناء الحياة االقتصادية في إطار طابع شمولي وعادل ال في طابع إقطاعي وبذلك يكتمل توجيه رأس المال مع توجيه العمل لتحقيق الشروط الضرورية لإلقالع االقتصادي، عن طريق التخطيط الدقيق)شعيب شنوف، 2010 ،ص 23 .)فنجد الكثير من الدول اإلسالمية الغنية بالثروات الطبيعية، والتي ترجع عليها بالعوائد المالية، فثروتها محصورة بما تملك من ثروات طبيعية، وليس استثمارا في القطاعات االقتصادية واالجتماعية المختلفة، وال يمكن اعتبار هذه الثروة التي تغيب فيها االستثمارات االقتصادية واالجتماعية سوى مجرد تكديس للثروة ال غير .فربط قضية العمل بقضية المال أصبحت تشكل عائقا أمام القيام بمشاريع استثمارية، ألن العمل مقيد بشروط مالية، فالمال مهيمن على تسخير العمل، ولم تتغير هذه الشروط إال فيما يخص ملكية رأس المال، ولم تحاول هذه البلدان النامية البحث عن دور المال االساسي، هذه العالقات كانت وال زالت منذ ظهور اقتصاد التبادل، وأصبح من الضروري البحث عن وسيلة لتسيير عملية أزمة التنمية في العالم اإلسالمي-قراءة في فكر مالك بن نبي- أ.الفتني صديقة مجلة العلوم االجتماعية – المركز الديمقراطي العربي ألمانيا- برلين، العدد16 ،ديسمبر 2020 164 التبادل وتقرر اختيار الذهب والفضة ونشأ المال ليقوم بدورين، فالدور االول يتفرع عن عملية التوزيع بل عن عملية الانتاج بحيث كان المنتج يقوم بعملية توفير أو تخزين جزء من عمله لمواجهة الحاجة المستقبلية الطارئة، ومهما كان سواء الذهب أو الفضة كان وسيلة الإكتناز، اذ اصبح العمل أي أصبح المال مخزنا تماما كما تخزن الكهرباء، فيما يسمى بالمدخرات وهذا الجزء المخزن هو فائض العمل الحاجيات الضرورية، فإن التنمية في المجتمعات الإسلامية ينبغي أن تنطلق من الداخل، وذلك من خلال توسيع نطاق الاستثمارات بمختلف أشكالها، فالاستثمار في العنصر البشري الذي ينخرط بجهده في العمل ويسعى لتحقيق الجودة في الانتاج، يتطلب الوسائل اللازمة وبيئة عمل مناسبة، وكل هذا لا يكون الا من خلال وجود رأس المال المادي، فالمال والعمل يسيران في خطين متوازين، ولا يمكن أن تتحقق التنمية في العالم الاسلامي إذا أختل أحد هذين الشرطين، فلا يمكن أن نستثمر دون وجود رأس مال مادي، كما لا يمكن أن نجسد المشاريع دون عمل ونشاط .ب- استثمار الافكار: ولهذا يرى مالك بن نبي أنه إذا ما تساءلنا بأي شيء نهض الانسان الالماني؟ نكون ملزمين بالجواب عن سؤالنا هذا بطريقة واحدة لا غير، وهي أن أفكاره فحسب، هي التي أتاحت له أن يحقق هذا النهوض، خاصة وأن حرب 1939 -1945، قد خربت عمليا عالم الاشياء بألمانيا، المصانع، المناجم، البنوك، المختبرات، فكل هذه الاشياء كانت قد دمرت

وأتلفت .وبالتالي لم تكن ألمانيا بعد سنة 1945 تمتلك أي مجموعة من الاشياء، ولكن تمتلك مجموعة من الافكار، وقد كونت من خالل هذا الرأسمال كل حياتها االجتماعية، واحتلت مجددا مكانتها السياسية في العالم. وتجربتها بالنسبة لنا تتيح أن نستخلص بطرقة علمية، أن قيمة المجتمع لا يعبر عنها بأشيائه بل بمجموعة أفكاره.)مالك بن نبي، فكرة كومنولث، 2000) وهنا يرى مالك بن نبي أنه علينا أن نكتسب خبرتنا، أي أن نحدد نحن موضوعات تأملنا وأن لا نقبل بأن تحدد لنا، أي علينا أن نستعيد أصالتنا الفكرية، واستقلالنا في ميدان الافكار حتى نحقق بذلك استقلالنا الاقتصادي والسياسي، فالمجتمع الذي لا يصنع أفكاره لا يمكنه على اية حال أن يصنع المنتجات الضرورية للاستهلاك، ولا المنتجات الضرورية لتصنيعه، و لا يمكن لمجتمع أن يتشيد بالافكارالمستوردة من الخارج (مالك بن نبي، القضايا الكبرى، 2002)إن عالم الاشخاص وعالم والافكار وجهان لعملة واحدة عندما نتناول قضية الاستثمار ف يالعنصر البشري، فالموارد البشرية تتميز بالتفكيرالابداعي، والقدرات المتميزة من الناحية العقلية والعملية، ولا يعتبر عالم الاشياء التي نوفرها للأفراد في المجتمع سوى بيئة تحفيزية تتيح لهم الابداع وتجسيد أفكارهم، وعليه ينبغي على المجتمعات الاسلامية أن تهتم بشكل أكبر بعلمائها ومبدعيها بما يتيح الاستثمار الفاعل في عملية التنمية في الفكر والمهارات، حتى تتخلص من أزمة التنمية، وتتمكن من السير في طريق الحضارة من جديد.

3- الالتزام بنظرية الاقتصاد الاسلامي: تقوم النظرية الاقتصادية الاسلامية على أساس من القيم الروحية والانسانية وعلى مبادئ اجتماعية تعاونية مثل الايمان، الحب، التعاون، والاخاء والمساواة، فالحرية الاقتصادية أساسها اعتبار خدمة الانسان وخدمة المجتمع عن طريق استثمار المال في كل مشروع مفيد وحلال، غايتها نشر الرخاء في الارض بين الناس والقضاء على الفقر حتى لا يبقى فقير جائع و لا بائس محتاج على وجه الارض، وهي التنمية الحقة والمنشودة التي تعم ثمارها ونتائجها المادية والمعنوية على كل فئات المجتمع الواحد ثم على كل الافراد في دول العالم، وذلك يرجع الى النزعة الانسانية الواسعة للاقتصاد الاسلامي، نبيل الهدف في غاياته وجوهره، وهو اقتصاد يقود المجتمع إلى التكامل والايثار والخير والمسؤولية وتقرير الحقوق والالتزامات بين الناس، لكن الفرق واضح بين أسس الاقتصاد الاسلامي وبين واقع المسلمين، فليس من قبيل المبالغة إذا أكدنا أنه لا يوجد اليوم في العالم الاسلامي بلد متقدم. بالتأكيد يوجد بلدان غنية، لكنه غنى غير قائم على الجهد الابداعي والانتاجي للفرد، كذلك الذي نراه في بلدان آسيا الجنوبية الشرقية، أو كنتيجة نمو منتظم كذلك الذي يعيشها اليابان منذ قرون من الزمان. (سليمان ملوكي، 2013).(إن من شروط التخطيط أن يكون متوافقا مع البيئة الاجتماعية والثقافية للمجتمع، وباعتبار المجتمعات الاسلامية دينها الاسلام، فكان الاولى لها أن تتقيد بنظرية الاقتصاد الاسلامي، اولا لانها تنسجم وخصوصية المجتمعات الاسلامية، ثانيا لما تتميز به من إيجابيات عكس النظريات الاقتصادية

الاخرى، فلا ينبغي على المجتمعات الاسلامية أن تبقى رهينة النظريات الاقتصادية الغربية، فحتى التجربة لم تثبت أهميتها على المستوى المحلي في المجتمعات المسلمة، ولم نرى أي نهضة تنموية، بل ما زالت الدول الاسلامية تتخبط في أزماتها التنموية .وإن من عدم الفعالية أن يحمل المسلم أفكارا صحيحة لكنه لا يستطيع تطبيقها في دنيا الواقع، فالمسلم يحمل القرآن ولكنه لا يستفيد منه كثيرا في التخطيط لنهضة قادمة، فعقلية ما بعد الموحدين تشله عن الابداع، للخلل الموجود في طريقة تفكيره، فعندما اكتشف ابن النفيس الدورة الدموية لم يستفد منها المجتمع الاسلامي لأنه لم يكن على المستوى الثقافي الذي يحيط هذا الاختراع بالرعاية، والمشكلة أن مجتمع ما بعد التحضر يسير إلى الخلف بعد أن انحرف عن طريق حضارته وانقطعت صلته بها(صالح بوعزة، 2015) نعم إن الدول الاسلامية توقن بأن القرآن ليس مجرد كتاب بل هو نهج للحياة بكل مناحيها، لكن المجتمعات المسلمة لا تسعى لفهمه فهما معمقا، ولا تسعى للاستفادة منه، فمن خلاله يمكن أن نحصل على الاجوبة التي نريد، وعن طريقه يمكن بناء مجتمع مستقر، مجتمع متقدم ومتحضر، وهذا ما كانت عليه الحضارة الاسلامية سابقا عندما كانت تستند على القرآن وتوجيهاته في كل الموضوعات الحياتية المختلفة .بالاضافة إلى التزام المجتمع حسب بن نبي بالفكرة الدينية، والالتزام بالقواعد الدينية الاسلامية، هذا الالتزام الذي حسب بن نبي قادر على أن يوصل المجتمع -الذي أخرجته الفكرة الدينية- إلى النور تطوره ورقيه، وتكتمل شبكة روابطه الداخلية، بقدر إشعاع هذه الفكرة في العالم، ويرى بن نبي أنه باختفاء سلطة الفكرة الدينية ستشرع الغرائز في التحرر، كون العقل لا يملك سلطة الروح على الغرائز، وبغلبة الغرائز على المجتمع تؤدي إلى تخلف المجتمع وانحطاطه)مالك بن نبي، شروط النهضة، 1986) ،(فكلما سادت الاخلاق الروحية في المجتمعات الاسلامية، وزاد التزامه بها عن قناعة داخلية، كلما زادت قوة الضبط الذاتي للأفراد، فيلتزمون بالاخلاق المهنية، وإتقان العمل... وكل الامور التي يفرضها الاسلام على عباده، كلما سار المجتمع نحو النظام، والانتاج، وساهم ذلك في تحقيق التنمية في النهاية .

4- ربط الفاعلية بالمنطق العملي: إن الدراسات التنظيمية الحديثة تركز على الفاعلية باعتبارها قيمة من القيم التنظيمية. وتعرف عموما على أنها: " القدرة على تحقيق الاهداف والتكيف مع البيئة بصورة تضمن النمو والتطور والاستمرار". وقد اهتم مالك بن نبي بفكرة الفاعلية اهتماما كبيرا، مبرزا أن تحقق الفاعلية في التاريخ الماضي والمستقبل المأمول هو نتاج معادلة اجتماعية -ثقافية تدفع ب الإنسان إنسان الحضارة(أن يتحرك عبر التاريخ مولدا نتائج تعود بالنفع على الفرد وعلى المجتمع. فقضية الفاعلية ترتبط ارتباطا وثيقا بالمنطق العملي، الذي جعل منها محكا للتمييز بين الصحة والصالحية)(سليمان ملوكي، 2013) ،(فحتى تتمكن المجتمعات الاسلامية من الخروج من أزمة التنمية عليها تفعيل مبدأ الفاعلية، التي تمكنها من التأقلم مع المتغيرات الجديدة، فتكون مرنة وسهلة التكيف مع كل جديد، ويتجسد ذلك بشكل

واضح من خالل التطبيق العملي لها، أي أن الفاعلية يظهر نفعها أكثر من خلال العمل والنشاط الفعلي، الذي يمكن من خلاله قياس مدى صالحيتها .وهو يرى أن أي مخطط نفكر فيه بأفكار الآخرين ونحاول انجازه بوسائل غيرهم معرض للفشل من الناحية العملية، وعليه فهو يقول بهذا الخصوص: "وعمليا يجب أن تسير النظرية الاقتصادية جنبا إلى جنب مع الظروف الاجتماعية، إذ لا أثر لهذه النظرية الاقتصادية إلاّ إذا اتفقت مع تجربة اجتماعية معينة، ويقصد مالك بن نبي بالتجربة الاجتماعية المعينة كل خصوصية حضارية اي أمة من الأمم، ويقدم الدليل على ذلك بما حصل أندونيسيا التي تعد من أغنى بلاد الهلال، لكنها لم تقدر على الخروج من أزمتها الاقتصادية رغم أن واضع نظرية اقلاعها الاقتصادي كان أحد أكبر الاقتصاديين الالمان الذين قدموا عصارة خبرتهم الاقتصادية لألمانيا بعد الحرب العالمية الاولى، وهنا فإنه حسب مالك بن نبي فإن التجربة كانت ناجحة في ألمانيا لوجود مهندسها الدكتور Chakht،ولكنها فاشلة لأن الدولة هي اندونيسيا والشعب غير الشعب الالماني (سليماني ملوكي، 2013)فمتى انعدمت العالقة بين أفكار البشر وواقعهم االجتماعي فقدت هذه االفكار وظيفتها في التطبيق العملي، ولم تعد فعالة. كما ويؤكد على أنه يجب علينا أن ننطلق في العمل بالإعتماد على قدراتنا الذاتية، والإمكانات المتاحة لنا، إذ ليس من المقبول أن نستثمر فيما نريد ونطمح اليهن بالوسائل التي في يد الغير. بل علينا أن نستثمر بالوسائل الموجودة في أيدينا. (فعلى الرغم من فاعلية الافكار الغربية في بيئتها الاجتماعية، إلاّ أن ذلك لا يعنيصلاحيتها زماكانيا، بل ينبغي على المجتمعات المسلمة أن تصنع أفكارها بنفسها فهي أدرى بظروفها، وحاجاتها، وما يتناسب مع خصوصيتها الاجتماعية والثقافية، كما أن العديد من التجارب أثبتت عدم نجاعة الافكار عند تطبيقها في بيئة غير بيئتها، وهذا ما ينبغي أخذه بعين الاعتبار.

- 5 .**العمل المشترك:** لعل أبرز تجسيد لهذا المبدأ عند مالك بن نبي، هو مناداته باتحاد إسلامي، وحدة لها مبرراتها الجغرافية السياسية، والنفسية والفنية، التي هدفها توجيه العالم الإسلامي، وجهة تحقق التطور والتفوق. وهذا ما أكده ودافع عنه في مؤلفه: "فكرة كومنولث إسلامي" ا وهو مشروع بالرغم من اهميته الحضارية لا يمكن إنجازه بطريقة فردية، بل يحتاج الى تكامل وتظافر الجهودن جهود هيئات عديدة "... فتحقيق هذا النوع،لا يمكن أن يقوم به فرد منعزل، لأنه من مهام هيئة مشتركة من الاخصائيين، الذين يتقاسمون فيما بينهم المظاهر والقطاعات المختلفة لهذه المهمة، كل في دائرة اختصاصه. وعموما، فمبدأ العمل المشترك كان واردا في معظم كتابات مالك بن نبي مؤكدا بأن:" الفرد للمجموع، والمجموع للفرد" و يرتبط العمل المشترك عنده بما تحمله الجماعة من حركة إيجابية توجهها نحو تحقيق الغايات). فالتمنية المطلوبة هي التنمية الشاملة، التي لا تتحقق إلاّ بتكاثف الجهود لتدارك نقاط الضعف بين دول العالم الإسلامي.

على المجتمع الاسلامي أن يأخذ بعين الاعتبار ضرورة الاستقلال الفكري عن الغير، مع الاخذ في الحسبان بحدود حدود الامكانيات الفردية لمواجهة الضرورات الداخلية والخارجية، و استثمار مختلف التجارب، لحاجتنا لذلك على ارض الواقع. غاب لاكتفاء الذاتي والاقتصاد التكاملي بين دل العالم الاسلامي.

إن فكرة الاتحاد الاسلامي أو العربي ليست صعبة على المستوى النظري ولا على المستوى التطبيقي، فقط هي تحتاج إلى تخطيط دقيق، وتسيير فعال، يضمن الصيرورة الجيدة، والنجاح المتوقع منها.

-6 بناء شبكة العلاقات االجتماعية: يعد بناء شبكة العقلاقات الاجتماعية اول عمل تاريخي يقوم به المجتمعن لأن ميلاد المجتمع مرتبط باكتمال وتلاحم النسيج الاجتماعي في ظل خصوصيات النسق الاجتماعي في إطارها الاقتصادي والسياسي والثقافي. حيث تخضع فاعلية الافكار في أي مجتمع لشبكة العلاقات الاجتماعية، فكلما كانت أكثر متانة بين الافراد، كان العمل فعّالا وله مردودية. فلقد أكد مالك بن نبي على أن الاساس في بناء المجتمعات بطريقة سليمة هو ذلك الذي أسماه:" شبكة العلاقات الاجتماعية" التي اعتبرها ضرورية جدا لتحقيق العمل المشترك، إذ ربط متانة هذه الشبكة وسلامتها بفاعلية الأداء، وقدرته على التأثير، "فكلما كانت شبكة العلاقات الاجتماعية أوثق، كان العمل فعّالاً ومؤثرا، لكن بشرط ان تسير هذه العلاقات في إطار إيجابي، أي وفق ما يخدم الصالح العام، ويخدم المجتمع، لحاجة التنمية لها، كما انها ضرورة فطرية اجتماعية في الاجتماع البشري عبر التاريخ، ثانيا لكون الدول المتحضرة لم تحقق تطورها وتقدمها الا من خلال بناء قاعدة العلاقات الاجتماعيةن، مع ضرورة اخضاعها لنظام محكم وذي اهداف بعيدة وقريبة المدى، بما يتماشى وروح العصر وتحدياته ومتغيراته.

وهو وضع يمكن ان يتجلى فيما تنتجه على المستوى الكمي والكيفي في المجتمع، وبناء على هذه النتائج يمكن التنبؤ بما ستكون عليه التنمية في المجتمع، أي أن العلاقات على مستوى الافراد والمؤسسات وفاعليتها تعتبر محددا ومعيارا لمدى سير المجتمع في طريق الصحيح للتنمية والتطور .

الفيم وتحقيق التنمية عند مالك بن نبي

فقد قام بمحاولة جديّة لربط قضية إعادة تفعيل القيم بقضية التنمية المطروحة بحدّة في المجتمعات العربية الإسلامية، وذلك منذ فترة التحرّر الوطني وبداية بناء الدول العربية الحديثة .لقد كان مالك بن نبي يعمل مثل غيره من ممثّلي الخطاب العربي تحت ضغط الظروف القاهرة و الإكراهات المتعدّدة، حيث تأثر في فترة شبابه بكتاب أحمد رضا حول مؤامرات السياسات الغربية ضدّ العالم الإسلامي وطابعها اللاأخلاقي، ليصبح بدوره من بين ممثلي ذلك الخطاب؛ الذين وعوا

ضرورة بناء مشروع متكامل يجمع بين القيم والأهداف الاجتماعية، وبين الخصوصية العربية وأنسنة الحضارة عامة، بدل الاقتصار على إدانة الغرب واستعمال الدين لتأجيج مشاعر المسلمين ضدّه،وكان مالك بن نبي يعرف أنّ هذا الجمع بين الأبعاد المختلفة يمكن ان يساهم في خلق السياق المساعد على تحقيق النهضة، لأن النهضة ليست إنتاج جاهز نستوردهن بل هي نتاج مخاض اجتماعي يعد تخصيب صحي، وفترة حمل و وضع طبيعية، تتحقق فيها مختلف الشروط المناسبة، لتولد النهضة في صورتها الكاملة. ويحوّل المقاومة من فعل غرائزي إلى فعل عقلي يجمع بين العلم والعمل والقيم الإنسانية الراقية التي يمكن أن نستمدها من السياق الحضاري الذي ننتمي اليه ، هذا الأخير الذي كان للفكرة الدينية دورا فعالا في تشكيل معالمه وآفاقه الحضارية.

لهذا نجد مالك بن نبي في كتابه (شروط النهضة يدافع عن مركزية ومحورية الفكرة الدينية في صناعة التاريخ والتغيير الاجتماعي، حيث لم يكتف مالك بن نبي بالمقابلة بين صورة الشرق والغرب، أو الاستعمار والإسلام، أو التأكيد على التقابل القيمي بين الطرفين بل قدم مفهوما جديداً ((القابلية للإستعمار)) الذي من خلاله أكد مسؤولية الذات في وضعها المأسوف والمأزوم الذي انتهي الاستعمار. ومنه أراد أن يحول النقد من نقد وتوجيه اللوم الى هذا العامل الخارجي إلى نقد الذات.

بالنسبة لمالك بن نبي وان ساهمت الفكرة الدينية في شحذ روح التحرر من الوضع الاستعماري، فهي في حقيقة الأمر محفز جوهري يجب ان يتجاوز دور المنبه الانفعالي، الى ان تصبح محفزا ومنطلقا للفعل الحضاري البنآء . ومنه تحقيق العناصر الموضوعية والذاتية لتحقيق التنمية. من هذا المنطلق، سعى مالك بن نبي إلى الجمع بين الطموحات الثلاثة :توظيف القيم الدينية للمحافظة على الهوية، وتوظيفها لإعادة إنسانية الإنسان بالاعتراف الشجاع بأن الاستعمار لئن زاد الطين بلّة؛ فإنّه لم يكن السبب الأوّل لوضع الانحطاط، وتوظيفها كذلك لخلق فرص التنمية والدفع بها مضيا إلى الأمام دون سيطرت الماضي أو الخوف من المستقبل لبؤس الحاضر، بالبكاء على الأطلال او شعور بعقدة التفوق او الضعف أمام القوى البارزة في تطورها، قصد الإسهام في التنمية مثل بقية المجتمعات والدول. وذلك لأن العالم قرية صغيرة ستحكمه عاجلا أو آجلا منظومة عالمية.

يقول بن نبي : «لقد كان دور الشعوب الإسلامية أمام الزحف الاستعماري خلال القرن الماضي وحتى الربع الأوّل من هذا القرن دوراً بطوليّاً فقط، ومن طبيعة هذا الدور أنه لا يلتفت إلى حلّ المشاكل التي مهّدت للاستعمار وتغلغله داخل البلاد .إنّ مشكلة كلّ شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحلّ مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانيّة، وما لم يتعمّق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها .وما الحضارات المعاصرة والحضارات الضاربة في ظلام الماضي والحضارات المستقبلة إلا عناصر للملحمة الإنسانيّة منذ فجر القرون إلى نهاية الزمن، فهي حلقات سلسلة واحدة تؤلف الملحمة البشريّة منذ أن هبط آدم على الأرض إلى آخر وريث له فيها»((شروط النهضة))

من هذا المنطلق أعلى بن نبي من شأن دعاة اليقظة الإسلامية في وجه الاستعمار، مثل المغربي عبد الكريم الخطابي، والجزائري صالح بن مهنّا، وجمعيّة العلماء الجزائريّين، ثمّ جمال الدين الأفغاني خاصّة الذي يعدّه رائد هذه اليقظة، ورأى أنّ هؤلاء جميعاً كان يوجّههم المبدأ القرآني: **((لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ()** الرعد، 11. لكنه يقدم بعض مؤاخذاته على هذه الحركة، كونها لم تنتقل الى مرحلة اخرى لا تقل أهمية عن الأولى يمكن من خلالها تقديم القراءة السليمة للماضي والحاضر والمستقبل، وهذا ما كان ينقص جيل الروّاد، دون أن يستثني من ذلك النقد جمعيّة العلماء الجزائريّين الذين لام عليهم الدخول في معامع السياسة، بدل أن تبقى متعالية على أوحال السياسة والمنافسات الانتخابية ومعارك الأوثان على حد تعبيره((لقد كان على الحركة الإصلاحية القيام بدور التوجيه الحضاري... لكن العلماء في تلك المرحلة وقعوا في الوحل؛ حيث تلطّخت ثيابهم البيضاء، وهبطت معهم الفكرة الإصلاحية((شروط النهضة)) وبعبارة أخرى :إنّ السياسة التي تجهل قواعد الاجتماع تظلّ عاطفية قائمة على الخطابات الجوفاء، ولا تغيّر ما بالنفس حتى يتغيّر وضع البلد، فلا تتعمق القيم ولا تتحقّق التنمية ولا تسترجع الإنسانيّة القديمة) الخرافات والشعوذة (...ما » الدروشة « المفقودة، بل تضاف إلى الدروشة القديمة الخرافات والشعوذة وهو ما يسميه بالشعوة الحديثة المتمثلة في السياسة السياسويّة، حسب مالك بن نبي؛**كونها دروشة لا تختلف عن سابقتها إلّا بأنّها تبيع بدل التعاويذ والتمائم تمائم** « في شكل آخر، هي أوراق الانتخابات والحقوق السياسية والأماني السابحة **في الخيال وأحلام اليقظة.** ((وهكذا يتحوّل الشعب إلى جماعة من المستمعين .أيضاً يصفّقون لكلّ خطيب أو قطيع انتخابي يقاد إلى صناديق الاقتراع، أو قافلة عمياء زاغت عن الطريق فذهبت حيث قادتها الصدف في تيّار المرشحين... فبعد أن كان الشعب يقتني بالثمن الغالي البركات والحروز، أصبح يقتني .الأصوات والمقاعد الانتخابية)). ((شروط النهضة)).

اشكالية 2 : إذا لم تكن الفكرة الدينية والدين مجرد آلة لتجييش الشعوب عن طريق تأجيج مشاعرها الدينية وتحويلها لمجتمع انفعالي، ولم تكن السياسة مجرد منافسة لأجل بلوغ المناصب، فعلى أي أسس يكون الإصلاح المحقق للتنمية حسب مالك بن نبي؟

مركز المشكلة: مشكلة الإنسان و مشكلة الوقت مشكلة التراب ومشكلة القيم.

في نظر مالك بن نبي مشكلة الإنسان عامة .والحضارة لا تنحصر في جوهرها في مجموعة من الأجزاء المنفصلة عن بعضها البعض، إنما هي مشكلة كلية متصلة الأجزاء لا نستطيع أن نكتفي بعلاجها بطريقة بجزيئية . وهو ما وقع فيه المسلمون عندما عملوا على جمع الأشياء كجزئيات (هي مهمة لكنها غير كافية) عوض أن يعملوا على التأسيس لحضارة شاملة الأبعاد و واسعة الأفق.

فبناء الحضارة الكليّة لا يمكن أن يقوم على أنقاض حضارة اخرى وهو ما ينطبق على الحضارة الإسلامية التي لا يمكن أن تقوم على أنقاض الحضارة الغربية الحديثة؛ لأن الحضارة إنسانية جامعة،

لكن إذا اكتفى المسلمون بطلب الأجزاء من دون الكليات، وجدوا أنفسهم يقتبسون من الغرب من دون قدرة على استلهام روح الحضارة الحديثة، مثل استعمالهم للمكتسبات العلمية من دون القدرة على استيعاب الروح العلمية، أو إقامة البرلمانات والأحزاب والانتخابات من دون القدرة على استلهام مبدأ المواطنة، فليست القضية أن نعارض قيماً بقيم، وإنّما أن نحدّد المنهجيّة الصحيحة، وهي استيعاب الكليات لا الجزئيّات. لذلك يلاحظ مالك بن نبي أن بعض المجتمعات لم تتعرّض للاستعمار المباشر؛ لكنّها تعاني الضعف الذي تعانيه البلدان المستعمَرة نفسه، وأن أخرى تعرّضت للاستعمار مثل اليابان لكنّها شهدت نهضة حضارية رائعة.

لقد كان مالك بن نبي جريئاً عندما هاجم في ذلك العصر ما دعاه (بأدب الكفاح) أو ما نطلق عليه اليوم أيديولوجيا المقاومة(؛ لأنّه عاش في عصر غلبة حركات التحرّر ومقاومة الاستعمار، وكان المناخ العام مناخ مقاومة أكثر منه مناخ تأمّل وبناء .ولهذا السبب كانت علاقته متوتّرة مع جمعيّة العلماء الجزائريّين، ثمّ مع جبهة التحرير الوطني بالجزائر، وعارض أن تكون القيم الدينيّة مجرّد وسيلة لإثبات الذّات ضدّ الاستعمار أو ترسيخ الهويّة بغاية المقاومة بل الفكرة الدينيّة كما يقول رافقت دائماً تركيب الحضارة خلال التاريخ

وهي مثل العنصر الكيميائي الذي تتحلّل بفضل ، مجموعة من المكوّنات لتنتج مركباً جديداً، فيكون الاجتهاد الديني أو بناء الدولة أو تنشيط التنمية أو تعميم التقنية نتائج جزئيّة مترتبة على تفاعل كيميائي كلّي، وهو الحضارة.

الإصلاح المستمدّ من المبدأ القرآني، هو الإصلاح الكفيل بالتأسيس الحضاري للقيم والدولة والتنمية، وله شروط محدّدة في ينظره؛ فعلى الشعوب أن تستثمر في الدورة الحضارية، وتنتهز فرصتها وتأخذ بكل الأسباب المادية والمعنية والروية والعلمية و القيمية لتصنع مصيرها وتنحت مكانتها الحضارية في الوجود، وأن يتخذوا مكاناً لهم تحت الشمس في ضوء تلك الشروط القرآنية.

الالتزام بالعقيدة:

«وأوّل هذه الشروط هو الالتزام بالعقيدة الدينية كون الحضارات عنده لا تقوم إلا على الروح الدينية ومنه أي نفور وابتعاد عن هذه الروح يقتضي الأفول والسوط، لغياب المحفز والدافع والمسدّد بتعبير طه عبد الرحمن. الحضارة المسدّدة التي تقوم على العمل الديني المسدّد والعقل المسدّد والعلم المسدّد والأخلاق التي تقوم على الإخلاص في المقصد. وهي قيم فقط الفكرة الدينية السليمة التي تؤسس لها. وهو واقع حاضر في الحضارة الغربية التي قامت على الترابط والتكامل الوظيفي بين الروح الدينية والعلمية و المصلحية في آن واحد. ولهذا لا يفصل مالك بن نبي بين الحضارة الغربية والانتماء الديني المسيحي الذي تم إعادة تشكيل أسسه بفعل الإصلاح الديني الذي عرفه الفكر الغربي، خاصّة بعد أن قرأ كتاباً لمؤرخ غربي اسمه هرمان دي كسرلنغ (H. Kesserling) عنوانه(**البحث التحليلي لأوروبا**) بين من خلاله الأثر الخفي والعميق للمسيحية في بناء الحضارة الغربية الحديثة، حيث قسم فيه مراحل

تكوّن وبناء الحضارة إلى مرحلة أولى كانت الروح متغلبة فيها على العقل، ثم فترة ثانية بدأت مع عصر النهضة الأوروبية والإصلاح الديني البروتستانتي وتتواصل إلى اليوم، وتتميّز بتغلب العقل على الروح.

ولئن كان جلّ مفكري النهضة قد سعوا إلى فصل الحضارة الأوروبية عن الديانة المسيحيّة، والتأكيد على القطيعة بين أوروبا المنحطة في العصر الوسيط وأوروبا الناهضة في العصر الحديث، فإن مالك بن نبي قد سعى على العكس إلى قلب الصورة، رغبة منه في جعل قضية القيم مرتكز الحضارة .فأمّا الصورة العامة التي تمسّك بها غالب النهضويين، فقد كانت مستمدّة من الدراسات التاريخيّة السائدة والمشهورة في الغرب، فالتاريخ الغربي الحديث الذي نشأ في القرن التاسع عشر يختلف في تفاصيل كثيرة؛ لكنّه يجمع على التكامل بين العنصرين والفصل الموهوم الذي اعتمده النهضويين العرب كانوا بحاجة إليهما لدوافع أخرى .فمن المعلوم أنّ أحد المحاور الكبرى للخطابات النهضويّة كان الدعوة إلى الاقتباس عن الغير وتأكيد مشروعيّة هذا الاقتباس، فكان من الضروري التأكيد على انفصال الحضارة الحديثة عن الديانة المسيحيّة؛ كيلا يبدو الاقتباس تقليداً للمسيحيّة أو تشبّهاً بالمسيحيّين؛ لأنّه إذا ثبت أن الحضارة الحديثة إنتاج عقلي خالص لا علاقة له بالمسيحية فقد أصبح أكثر يسراً تبريرُ اقتباسه، بما أن العقل كوني، أمّا الدين فهو المحدّد لهوية مجموعة بعينها .ثمّ تقبّلت الخطابات النهضوية فكرة انحطاط أوروبا في العصر الوسيط ونهضتها في العصر الحديث؛ لأنّها كانت تسعى لجعل مسألة التقدّم مسألة تاريخيّة يمكن أن تتغيّر، وليست مسألة جوهريّة ثابتة، فالغرب المتقدّم اليوم كان منحطّاً بالأمس، والمسلمون المتأخرون حضاريّاً اليوم كانوا في موقع الريادة بالأمس، وكما انتقل أولئك من الانحطاط إلى النهضة، فبإمكان المسلمين أن يخرجوا بدورهم من الانحطاط ليحقّقوا نهضتهم .أمّا مالك بن نبي فنجده يضرب صفحاً عن تلك الاعتبارات، ولا يقرأ التاريخ الأوروبي من كبار مؤرّخيه؛ بل يقرأه من خلال دراسة مغمورة لهذا البحث « في كتاب عنوانه » هارمان دي كسرنلغ **(H. Kesserling)** الكاتب الذي يدعي فيه اعتماد المنهج التحليلي يدافع عن فكرة التواصل الحضاري لأوروبا من شارلمان إلى اليوم، وكون الحضارة الأوروبية مرتبطة بمنظومة قيمية دينية مثلت المسيحية تجسيدها الأسمى .ويستشهد أيضاً بدراسة أكثر شهرة وهي للمؤرخ الفرنسي هنري بيرين، الذي أكد من خلال كتابه ((محمد وشارلمان)) ظهور خطين حضاريين متوازيين، أحدهما افتتحه نبيّ الإسلام والثاني إمبراطور الكارلنجيّين) يقصد فرنسا وألمانيا وإيطاليا بالحدود الحالية.(فعلى هذا الأساس تكون النهضة الأوروبية قد بدأت روحية مع المسيحيّة، ثمّ أصبحت عقليّة مع ديكارت، ثمّ تجاريّة مع كولمبوس ...إلخ . وفي كلّ مرّة تعود أوروبا إلى قيمها الأصلية لتستعيد حيويتها وتجدّد انطلاقتها.

المرجعية القيمية:

وكذلك ينبغي أن يكون شأن المسلمين؛ بدؤوا نهضتهم مع الإسلام، ومرّوا بمرحلة ازدهار عقلي، وإذا أرادوا استرجاع أمجادهم الماضية فعليهم الرجوع إلى قيمهم الأصلية وتفعيلها .إن ثمة حينئذٍ خطين حضاريين، لكن ثمّة أيضاً قاعدة واحدة في تفسير التطور الحضاري للبشر، وهي قاعدة ارتباط كل حضارة بمنظومة قيمية ذات قاعدة دينيّة .بل إن مالك بن نبي يدعو إلى استبدال الأطوار الثلاثة التي

وضعها ابن خلدون لحياة الدولة بالأطوار القرآنية الثلاثة لحياة الحضارة، وهي طور الميلاد وطور الاستقرار وطور الأفول .والطور الأوّل قائم على الروح، والثاني على العقل والثالث على الغريزة، ((فكلّ القيم النفسيّة الزمنيّة التي تميّز مستوى حضارة ما في وقت معيّن ليست إلّا الترجمة التاريخيّة لهذه العلاقة العضوية بين فكرة معينة كالإسلام مثلاً، والفرد الذي يمثّل بالنسبة إليها السند المحسوس وهو هنا المسلم)) (مالك بن نبي شروط النهضة).

غير أن مالك بن نبي لا يقصد بذلك أنّ الحضارة كلّها دين، أو أن الدين يقوم مقام الحضارة، فالدين يهيّئ الإنسان لدخول الحضارة وللإبداع الحضاري، وفقدان القيم الدينية لا تحوّل الإنسان إلى حضارة أخرى،"**وإنّما تحوّله إلى وضع ما بعد حضاري"** ولكون مهندسا كهربائياً فقد فسّر هذا القانون بصورة تمثيلية وعلمية واقعية تكمن في دورة المياه المنتج للكهرباء، فالماء قبل وصوله إلى خزان الكهرباء هو مثل الإنسان السابق على الحضارة الذي يضمّ في ذاته قابلية إقامة الحضارة مثلما يشحن الماء وينطوي على طاقة قابلة لأن تتحوّل إلى كهرباء، والماء بعد خروجه من خزان الكهرباء هو مثل الإنسان ما بعد حضاري في وضع يفقد فيه القابلية للإسهام الحضاري؛ لأنّه فقد كلّ طاقته الذاتية.

فالبدوي قبل الرسالة الإسلامية كان يحمل شحنة الحضارة مع أنه لم يكن متحضّراً، والمسلم الحالي يظهر بمظهر المتحضّر؛ لكنّه قد فقد في أعماقه القدرة على الشحن والطاقة؛ لأنه فاقد للقيم الدافعة للعمل والمحدّدة لغاية جماعية تتوحّد حولها المجموعة، ولأنّه فاقد للتوجيه الأخلاقي والجمالي والعملي.

. إنّ جوهر الإشكالية لا يرتبط بالماضي فحسب؛ وإنما يرتبط أيضاً بالظروف التي استعادت فيها المجتمعات الإسلامية حديثاً حضورها التاريخي .فمع أن حركات التحرّر الوطني قد قادها في الغالب زعماء

متخرجون من المدارس الحديثة، وقد اعتمدت على خطاب حقوقي يدور حول حقّ الشعوب في تقرير مصيرها، فإنّ الدين قد وظّف لدى تلك الحركات لحشد التأييد الشعبي للمطالبات الوطنية التي كانت تحملها النخب المفاوضة باسم الشعب، واقتصر دوره على ذلك، فكان دوراً عاطفيّاً .لكن هل بإمكان أحد أن يتمرّد على ذاك الوضع من دون أن يوصف بالمهادنة للاستعمار أو خلق الفتنة داخل المجتمع المطالب بالاستقلال؟

إنّ الإقحام المكثّف للدين في مشاريع المقاومة لم يترك هامشاً كافياً لنشأة فكر ديني تجديدي، أو بتقسيم مالك بن نبي، ظلّ الخطاب الديني يعمل في مستوى الغرائز (غريزة الدفاع عن النفس أمام الغزو الأجنبي)

دون مستوى العقل أو إحياء القيم، وإذا كان مالك بن نبي قد آخذ ابن باديس وجمعية العلماء الجزائريّين بكونهم قد أفرطوا في تسييس الدين على حساب الإصلاح فماذا عساه يحكم على جبهة التحرير الجزائريّة؟ وإذا كان تقييمه قاسياً للأفغاني وعبده ومحمد إقبال؛ لأنهم بزعمه لم، يذهبوا بعيداً في تعميق المشروع الإصلاحي .فكيف يكون حكمه على من تخلّى أصلاً عن فكرة الإصلاح بالمعنى الذي سطّره هؤلاء؟

بالفعل، فإن هذا هو المنحى الذي اتخذه مسار الأحداث. فقد وظّف الدين للمقاومة أيام حركات التحرّر الوطني، ثمّ بدا بعد ذلك لم يعد للمشروع الإصلاحي الديني فائدة ترتجى منه؛ لأن المهمّ في المقام الأوّل هو بناء الدولة الوطنية وتحقيق التنمية لإخراج الشعب من الفقر والبؤس والجهل .بل إن العديد من السلوكيات الدينية السائدة عُدّت عائقاً أمام التحرّر الوطني ثمّ أمام التنمية، مثل التصوّف الذي كان يمثّل الديانة الشعبيّة، ويحظى بحضور عميق لدى الفئات الاجتماعية الوسطى والدنيا.

لقد سعى مالك بن نبي إلى ربط قضية التنمية وقد غلب عليها الجانب الاقتصادي بالقيم الدينية ومشروع الإصلاح،((وجهة العالم الإسلامي)) مثلما عمل قبل ذلك على ربط قضية التحرّر وقد غلب عليها طابع الحماسة بالمشروع الحضاري العام .فكان من الأوائل الذين طرحوا مسألة ارتباط القيم الدينية بالاقتصاد، في عهد اتسم بطغيان الخطاب الاقتصادي والنظر إلى الاقتصاد على أنّه علم قائم الذات لا علاقة له بالقيم ولا دخل لهذه فيه .«ففي كتابه المسلم في عالم الاقتصاد أكّد ؛ الترابط الوثيق بين التنمية وقيم الأمة ذات المرجعية الدينية ، كون الاقتصاد في نظره هو ميدان عملي واقعي تتجسد فيه حضارة الأمة، ويتأسّف لضعف الوعي التنموي في المجتمعات الإسلامية، ويعيد ذلك إلى جمود الفكر الإسلامي منذ نهاية عهد الموحّدين، وإلى انحلال دعائم الاقتصاد في شكله القديم بسبب التحوّلات التاريخية العالمية ونشأة الرأسمالية الحديثة، من دون قدرة من المسلمين على مجاراة الواقع الجديد فكراً أو ممارسة .وميّز على هذا الأساس نجده يميز الاقتصادية التي تسعى إلى حلّ مشاكل التنمية بصفة غير موضوعية وخارج الإطار الحضاري العام، والاقتصاد الذي يوفّر التنمية بالتلاؤم مع محيطه وبيئته والارتباط بالقيم الحضارية للمجتمع .ولم يصدر هذا الموقف من موقع ما يسمى اليوم الاقتصاد الإسلامي، وإنما من موقع ربط التنمية بالقيم، لذلك حظي هذا الرأي باهتمام المناصرين لقضايا العالم الثالث مثل جاك أوستروي أو ما يدعى (penseurs tiers-mondistes) بالمفكرين العالم ثالثيين ((Jacques)) Austruy: L'islam face au developpement economique, Paris, 2 . 1962 الذي أورد من خلاله تثمينا للرؤية التي جاء بها مالك بن نبي في كتابه((الإسلام في مواجهة التنمية))للتأسيس للإنسان الحضاري، القادر على إحداث إقلاع اقتصادي يحقق التنمية التي يكون نورها مثل نور الشمس يستطع على الجميع دون استثناء. وهي رؤية علمية وإنسانية في آن واحد تؤكد البعد الحضاري لفلسفة مالك بن نبي.

قائمة المراجع. :

- بشير قلاتي،2016 ،الافكار الاقتصادية عند مالك بن نبي، مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسالمية، المجلد30 ،العدد2 ،جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسالمية، الجزائر، الجزائر .

- .سليمان ملوكي2013 ،النظرية الاقتصادية لدى مالك بن نبي، من خالل ثلاثية رأس المال، توجيه العمل، وتوجيه الوقت، مجلة العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، المجلد6 ، العدد10 ،جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر .
- .شعيب شنوف،2010 ،التنمية الاقتصادية في البلدان النامية عند مالك بن نبي، حوار الاربعاء، المجلد1 ،العدد1 ،جامعة الملك عبد العزيز، جدة، السعودية.
- .صالح بوعزة2015، قراءة تحليلية لمقاربة مالك بن نبي في بناء الأفراد وإصالح المجتمعات العربية في ظل العولمة الثقافية، مجلة تنمية الموارد البشرية، المجلد6 ،العدد1 ،جامعة لمين دباغين، سطيف، الجزائر .
- .صبرينة حديدان2019 ، مقومات البناء الحضاري عند مالك بن نبي، مجلة علوم الانسان والمجتمع، المجلد8 ،العدد1 ،جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر .
- .فازية بوثلجة2019 ، تشخيص القابلية للاستعمار عند مالك بن نبي وأثرها على الجانب النفسي للفرد، مجلة مشكالت الحضارة، المجلد8 ،العدد2 ،جامعة أبو قاسم سعد الله ، الجزائر، الجزائر .
- .مالك بن نبي2002 ، القضايا الكبرى، دار الفكر، دمشق، سوريا8 .
- .مالك بن نبي2002 ،تأمالت، دار الفكر، دمشق، سوريا .
- .مالك بن نبي، ترجمة: الطيب الشريف2000 ،فكرة كمنويلث اسلامي، دار الفكر، دمشق، سوريا .
- .مالك بن نبي، ترجمة: بسام بركة 2002 ، مشكلة الافكار في العالم الاسالمي .دار الفكر. دمشق، سوريا .
- .مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين1986ن شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، سوريا .
- .مالك بن نبي، ترجمة:عبد الصبور شاهين2000، الظاهرة القرآنية، دار الفكر، دمشق، سوريا .أزمة التنمية في العالم اإلسالمي-قراءة في فكر مالك بن نبي- أ.الفتني صديقة مجلة العلوم االجتماعية – المركز الديمقراطي العربي ألمانيا- برلين، العدد16 ،ديسمبر 2020 171 - ميهوب العابد2012، مفهوم التنمية في فكر مالك بن نبي، مجلة علوم الانسان والمجتمع، المجلد1 ،العدد2 ،جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر .
- .يوسف أزروال2019، ظاهرة التخلف ومسألة التنمية: دراسة في ضوء فكر مالك بن نبي، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، المجلد8 ،العدد2 ،جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.
- .يوسف يحياوي2017، مالك بن نبي: فكر يحتاج إلى تجسيد، مجلة الممارسات اللغوية، المجلد5 ،العدد26 ،جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.
- محمد الحداد، القيم الدينية والتنمية ز انسانية الانسان في افكر العربي الحديث والمعاصر، مجلة التفاهم https://tafahom.mara.gov.om › al-tafahom ›